

الابتسامة الباهتة



يستطيع أى شخص — بسهولة — أن يرى ويعاين المكان الذى قتل فيه السادات .

إن مسرح الأحداث التى وقعت فى منتصف نهار ٦ أكتوبر ١٩٨١ كان منصة العرض العسكرى الدائمة فى حى (مدينة نصر) .. شهدت هذه المنصة فى دقائق معدودة إحساس السادات بالزهو والقهر .. بالمجد والموت .. بالخطر والضعف .. وفيما بعد ارتبط مقتل السادات ارتباطا وثيقا بالمنصة .. وأصبح من الشائع أن يسمى الناس حادث اغتيال السادات باسم (حادث المنصة) .

تقع المنصة على طريق عريض فى مواجهة (النصب التذكارى) للجندى المجهول .. تمر عليها فى كل لحظة من لحظات النهار مئات السيارات الخاصة والمركبات العامة فى تدفق وزحام يفرض على ركبها عدم الالتفات إلى ذلك المبنى الأسمتى المكشوف الذى يبدو كما لو كان (مقصورة) ملعب كرة أو ستادا رياضيا ..^(١) .

فى قلب المنصة توجد مقصورة الشرف الرئيسية .. حيث اعتاد أن يجلس فى صدرها السادات وحوله كبار الضيوف وكبار رجال الدولة .. وتبدأ مقصورة الرئيس بسور عرضه ٣٠ سنتيمترا وسمكه ٥ سنتيمترات ، مغطى بطبقة من الجرانيت الأحمر بها عروق سوداء .. ويرتفع هذا السور عن الرصيف بتر ونصف المتر فقط .. أى أقل من طول الشخص العادى .

داخل المقصورة ترتفع الأرضية عن مستوى الرصيف بحوالى ٨٥ سنتيمترا فقط .. وتصبح المسافة بينها وبين السور أقل بنحو ٢٠ سنتيمترا .. وذلك حتى يتمكن الجالسون من رؤية ما يمر أمامهم بسهولة .. وحتى يرتفع مستوى صدورهم عن مستوى السور .. ثم يتدرج ارتفاع الأرضية فى ثلاث درجات ، ليتمكن أصحاب المقاعد الخلفية من رؤية العرض .

هذه المواصفات والارتفاعات سهلت — دون شك — نجاح عملية الاغتيال .. فانخفاض مستوى السور

(١) البيانات الفنية عن المنصة مصدرها معاينة النيابة العسكرية بعد الحادث .. وقد كانت هناك معاينة أولى قام بها العميد محمد عبد المعصم حسن رئيس النيابة العسكرية يوم ٨ / ١٠ / ١٩٨١ ، وكانت هناك معاينة ثانية تمت يوم ٢٥ / ١٠ / ١٩٨١ بمعرفة العقيد حسين عبد القادر حسن .

جعل خالد الاسلامبولي ورفاقه يطولون السادات .. وجعل أحدهم يقفز وراء السور إلى داخل المقصورة ليتأكد من تنفيذ الخطة .. ومن أن السادات قد لفظ أنفاسه الأخيرة .

تنتهي المقصورة بجدار خلفي .. يبعد عن السور الأمامي بنحو ٢٠ مترا .. مغطى بالجرانيت الأسود .. على منتصف جزئه العلوي صقر قریش الذهبى .. تحته باب زجاجى ، مقسم إلى ٦ دلف عرضه ٨ر٥ متر وارتفاعه ٢ر٥ متر .. وزجاج الباب من النوع البلورى النقى ، المركب داخل إطارات من النحاس الأصفر الذى كان يبرق مثل الذهب . وعند منتصف السور الأمامى للمقصورة رسم على أرض الطريق خط أبيض ، عمودى على المقصورة ، ويمتد ـ مخترقا عرض الطريق — حتى يصل إلى النصب التذكارى .. وعند هذه النقطة بالضبط ولكن خلف السور وقرب الأرضية ، يوجد لوحة رخامية بارزة تشير إلى مكان جلوس رئيس الجمهورية .

عرض الرصيف هنا حوالى ٨ر٣٥ متر .. أمامه طريق صغير لوصول السيارات الرسمية عرضه ٦ر٥ متر .. ويفصل هذا الطريق الضيق عن طريق العرض جزيرتان صغيرتان كل بعرض ٢ر١٠ متر مزروعتان بأشجار النخيل . على جانبى المقصورة الرئيسية توجد أربع مقصورات فرعية .. اثنتان يمينا واثنتان يسارا .. والمقصورة الرئيسية منفصلة عن المقصورات الجانبية بجائطين يمتدان من الخلف حتى نهاية المنصة .. ويوصل إلى المنصة من جانبها سلمان لكل منهما ٥ درجات . ويعلو المقصورة الرئيسية من الخلف ، مقصورة علوية ، مقلعة ومسقوفة ، خصصت لحرم الرئيس ولبناتى زوجات المستولين والضيوف وعائلاتهم .



حتى منتصف نهار ٦ أكتوبر ١٩٨١ لم يتصور أحد أن هذا المكان سيدخل التاريخ .. ولم يتصور أحد أن طول المقصورة وارتفاع الأرضية وسمك الرصيف ونوع الجرانيت الذى يغطى السور ، أشياء ومقاسات ، سيتوقف عندها المؤرخون .. لقد كان ذلك — حتى بداية العرض — جزءا من اهتمامات المهندسين والمقاولين فقط .

قبل الساعة الحادية عشرة بقليل من صباح ذلك اليوم ، أقبل موكب السادات بسيارته المكشوفة التى يطل منها إلى جانبه نائبه حسنى مبارك ، يحف بها من الجانبين ثمانية من الحراس الأقوياء .. ومثلهم من الأمام ومن الخلف .. نفس أسلوب الحراسة المألوف فى موكب الرئيس الأمريكى .

نزل السادات من السيارة الليموزين .. وراح يحفى ضباطه ومستقبله .. وكان « فى حالة ذهول تام وهو يتحرك كإنسان آلى » على حد وصف (دورين كايز) مراسلة إحدى شبكات التلفزيون الأمريكية فيما بعد .. وكان يرتدى « بزته الرمادية المائلة للزرقة المزينة بعشرات الأوسمة والنياشين التى صممت له بمعرفة أفخم بيوت الأزياء الأوربية . وإلى جانبه نائبه حسنى مبارك ووزير الدفاع عبد الحليم أبو غزالة بنفس الزى » .

توجه الثلاثة الكبار إلى ضريح الجندى المجهول ، وبينما الموسيقى تعزف السلام الوطنى ، كان السادات يضع إكليلا من الزهور على الضريح .. وبعد انتهاء هذه المراسم ، عادوا إلى المنصة ، وراح

كل منهم يأخذ مكانه في الصدارة .. انتظاراً لبدء العرض .. وقد كانت البداية ، نفس البداية المعتادة .. القرآن الكريم .. ثم خطاب قصير لوزير الدفاع .. ثم استئذان قائد الطابور ..

في مكانه في قلب الصف الأول ، حاول السادات أن يغالب اليأس والقهر بالمبالغة في التظاهر بالكبرياء .. وحاول أن يخرج من عزلته والأزمات التي تحاصره بابتسامة باهتة ، كانت تموت على شفثيه قبل أن تولد !!

إن الذين حاولوا قراءة وجه السادات في تلك الدقائق ، كانوا كمن يحاول قراءة لوحة فرعونية باللغة الهيروغليفية قبل اكتشاف حجر رشيد .. على أن هؤلاء وغيرهم اكتشفوا بسهولة اختفاء شبكة الحراسة أمام المنصة ، ولاحظوا أن حرسه الأمريكي الخاص المكون من ١٢ خبيراً قد تراجعوا إلى الخلف ..

لقد بدأ العرض الآن .. وجلس الجميع في استرخاء يتابعون تدفق القوات .. ومراقبة الحركات البهلوانية المزودة بالألوان لأسراب طائرات الميراج .. وبينما طائرات الميراج تشد الأنظار إلى السماء كانت الدبابات والمدرعات والشاحنات التي تجر المدافع تتوالى على الأرض .. وفجأة ..

وحوالى الساعة الثانية عشرة ظهراً .. وقفت إحدى عربات (الكراز) التي تقطر مدفعاً عيار ١٣٠ مم أمام المقصورة وقبل أن يتبته أحد ، فتح باب من أبواب جهنم .. وراحت القنابل والرصاصات تنهمر في اتجاه السادات .. وبعد حوالى ٤٠ ثانية كان قد فارق الحياة .

□ □

إن السيناريو الحقيقي لقتل السادات لا يبدأ بسرد تفاصيل تلك الثواني التي مرت على كل من كان في المنصة كالدهر .. فهذه التفاصيل — في الواقع — كانت تمثل المشاهد الأخيرة في هذا السيناريو المثير .. أما المشاهد الأولى فتبدأ قبل ذلك بساعات طويلة .. تبدأ في يوم الأحد ٤ أكتوبر .. قبل التنفيذ بلبتين .. في مساء ذلك اليوم استقل خالد الاسلامبولي وعبد الحميد عبد السلام وعطا طاهر وحسين عباس ، سيارة فيات (١٢٤) يملكها عبد الحميد وقادها خالد بنفسه ، واخترقوا حى (مصر الجديدة) إلى حى (مدينة نصر) وعندما وصلوا إلى مكان المنصة ، نزلوا جميعاً من السيارة .. وراحوا يقيسون المسافة بين المقصورة والخط الأبيض الموازى لها ، والذي ستسير عليه السيارة الكراز .. وقاموا بعمل (بروفة) سريعة على كيفية إلقاء القنابل ، مستخدمين في ذلك الحجارة .. وكانوا وهم يقومون بهذه (البروفة) يتدربون على إسقاط القنابل على مسافة بعيدة عن المنصة ، لأن الهدف من إلقاء القنابل — كما قالوا فيما بعد — لم يكن القتل وإنما إحداث الفوضى والدعر ، حتى يمكن اصطلياد السادات بسهولة .. وكانت الحجارة التي التقطوها من الطريق في حجم قبضة اليد .

بعد (البروفة) اتفقوا على أن يتوجه عبد الحميد وعطا وحسين إلى منطقة الخيام ، خلف ستاد

القاهرة الرياضى ، حيث كانت تركز القوات المشتركة في العرض .. على أن يتأخر خالد بعض الوقت ويصل بعدهم حتى لا يثيروا الشك ..

قدم الثلاثة أنفسهم — في مقر وحدة خالد — على أنهم ملحقون من اللواء ١٨٨ مدفعية .. ويبدو أن خبرتهم العسكرية ، وأسلوبهم في الدخول ، واختيار هذا الوقت من الليل ، وقامة عبد الحميد المديدة ، ونظراته الفاحصة ، يبدو أن كل هذه الاعتبارات كانت كفيلة بأن تخلق لدى جنود الوحدة إنطباعا بأن هؤلاء الثلاثة ليسوا مجرد جنود عاديين .. أو أنهم لا يمكن إلا أن يكونوا من أفراد المخابرات العسكرية .. وكان هذا الانطباع كافيا ليسمحوا لهم بالدخول ، دون حاجة لإبراز خطاب الإلحاق المزور .. الذى تخلصوا منه بعد ذلك .

بعد منتصف الليل وصل خالد إلى مقر تركز وحدته .. وتم إخطاره بحضور الجنود الملحقين الثلاثة بدلا من الجنود المتغيبين .

وحتى يقضى خالد على أى فرصة شك يمكن أن تتولد حوله قام بـ (تكدير) زملائه الثلاثة (٢) عقابا لهم على تأخرهم في الحضور .. فأمر أحدهم بالعمل (مراسلة) له ، ليكون في الظاهر في خدمته ويكون — في الحقيقة — بالقرب منه .. وذلك بدلا من جندى المراسلة المعين لخدمته من السرية الأولى .. الجندى ناجى لمعى نظير ، الذى كان قد طلب أجازة في مساء السبت لمدة يومين ، على أساس أنه ليس مدرجا في كشوف قوات العرض .. وقد حصل بالفعل على تصريح الأجازة الذى كان ينتهى مساء يوم العرض (٣) على أن يعود إلى مقر الوحدة الأساسى .. ومن باب « التكدير » أيضا عين خالد « الجندى — الملحق » عبد الحميد ومعه « عطا » لحراسة مخزن الذخيرة الذى كان عبارة عن خيمة ، وضع السلاح — في صندوقين — داخلها . بعد أقل من ٢٤ ساعة .. وفي الساعة الخامسة من مساء اليوم التالى (الاثنين ٥ أكتوبر) كان جنود الوحدة في حركة دائبة .. كانوا يقومون بأعمال النظافة الشخصية ، ويجهزون ثيابهم التى سيرتدونها في العرض ، ويراجعون أسلحتهم بعد أن انتهوا من صيانتها .. في ذلك الوقت تقريبا ، استدعى خالد جنديا اسمه (سيد محمد أحمد خليفة) إلى مكتبه .. إن هذا الجندى هو المسئول عن عهدة سلاح الكتيبة .. وقد طلب منه خالد أن يسلم العهدة إلى الجندى الجديد الملحق (عزت عبد السلام) الذى هو في الحقيقة (عبد الحميد عبد السلام) .. الذى جاء إلى خيمة خالد ووقع إيصال استلام البنادق والرشاشات الخاصة بالكتيبة .. وكانت حجة خالد في نقل عهدة السلاح لبعد الحميد أن الجندى (سيد خليفة) سيضاف إلى القوة المشتركة في العرض .. وعليه أن يتفرغ للاستعداد لهذه المهمة .

وبثقة .. أمر خالد الجنديين عزت عبد السلام وسيد خليفة بنزع إبر ضرب النار — حسب

(٢) التكدير : تعبير عسكري يقصد به تأليب الرية الأقل أو تكليفها بأعمال فوق ماتكلف به عادة ..

(٣) أقر بذلك الجندى ناجى لمعى في صفحة ٦١٤ من التحقيقات ، وقال إنه تفاهم على الأجازة مع رقيب السرية الأولى سعيد السيد حسين .

التعليمات - من البنادق لتأمين العرض .. ثم أمر الجندي سيد خليفة بالتوجه إلى أفراد القوة لينبه عليهم بالنوم بجوار المدافع حتى الفجر .. واستدعى عطا الذي أصبح اسمه (أحمد) ليساعد عبد الحميد في تمييز ثلاث بنادق ، لم تنزع منها إبر ضرب النار بوضع (كهنة) قطعة قماش قديمة ، في فوهة كل منها ، بألوان تخالف ماوضع في باقي فوهات البنادق .. هذا أمر طبيعي ، يحدث - عادة - حتى لا تدخل الأتربة في فوهة البندقية ، التي غالباً ماتكون في حالة تشحيم ، فيترتب على ذلك عطب في الأجزاء الداخلية يستغرق وقتاً وجهداً في إصلاحه .. وقد يترتب على اكتشاف التراب مجازاة الجندي ، وهذا أيضاً أمر طبيعي بالنسبة لخالد الاسلامبولي ، الذي اشتهر وسط جنوده بشدته كضابط وصرامته العسكرية .

تجمعت إبر ضرب النار الخاصة بتسليح الكتيبة .. تسلمها خالد .. وضعها داخل كيس نايلون في حقيبتها السمسونات .. ومن المؤكد الآن أن عدد إبر ضرب النار أقل بثلاث من العدد المطلوب ، فكان أن أضاف خالد العدد الناقص من إبر ضرب النار التي كان قد أحضرها له محمد عبد السلام فرج مع القنابل وخزائن الرصاص .. وقد فعل خالد ذلك ، حتى لا يفاجأ بمن يمكن أن يفتش على هذه الإبر ، ويكتشف العجز فتعرض الخطة إلى الكشف .. وكانت القنابل (وعددها أربع) في حقيبة السمسونات ، فأخذها ووضعها في خوذة تحميه تحت السرير .. وراح يساعد عبد الحميد ، وعطا ، وحسين عباس (اسمه الجديد كان جمال) في تعبئة خزائن البنادق الآلية .

□ □

لا أحد يعرف كيف قضى الأربعة ليلتهم .. لكن .. الطبيعة الإنسانية تشير إلى أنهم لم يستغرقوا في النوم .. وربما لم يعرفوا مذاقه .. فعندما راح أحد جنود (الوحدة) يؤذن لصلاة (الفجر) كانوا أول من قفز من الفراش وبنشاط مذهل راحوا يغتسلون .. ووراء خالد الاسلامبولي أدى الجميع أولى فرائض ذلك اليوم .

انتهت الصلاة .. تناول الجنود إفطارهم .. اصطفوا في طابور بجوار العربات والمدافع .. وفي تمام السادسة صباحاً كان كل شيء معداً .. كل جندي يعرف بدقة مكانه .. ويعرف ماذا سيفعل ؟ .. وكان خالد في ذلك الوقت يقف أمام جنوده وفي يده (الخوذة) وبداخلها القنابل الأربع .. أما خزانة (الرشاش) فكانت في جوربه .. لم يكن خالد يحمل سلاحاً .. وليس من حقه - أصلاً - أن يحمل أى نوع من الأسلحة ، حتى الشخصية ، لأن التسليح في العروض العسكرية قاصر على الجنود وصف الضباط فقط .. وتسليح الجنود بندقية آلية روسية ، ماعدا سائقى العربات فتسليحهم رشاش .. ولأن خالد سيجلس بجوار السائق في (كابينه) العربة الأولى ولأن رشاش السائق سيكون بينهما فقد رتب خالد نفسه على أن يحصل على الرشاش بعد أن يخرج الخزانة من جوربه ويضعها في الرشاش ليكون جاهزاً للاستخدام !!

أرسل خالد سائق العربة ليشتري له (سندوتشين) للإفطار .. واستجاب السائق .. فسارع خالد باستبدال خزانة الرشاش فوضع المعبأة مكان الفارغة .. ومد يده إلى عبد الحميد في وقت

مناسب بقنبلتين .. واحدة له .. والأخرى لعطا طایل .. وبعد دقائق عاد السائق حاملا السندوتشين ليجد كل شيء قد تم دون علمه .. ولم يأكل خالد السندوتشين ، وإنما طلب من السائق ان يأكلهما نيابة عنه .. وربما مكافأة له .

حانت ساعة الصفر .. وبدأ (قول) العرض يزحف نحو الهدف .. لكن الهدف أمامه عوائق وأخطار .. والعوائق والأخطار مصدرها الأمن والتفتيش .. إن نوع الأمن والتفتيش يختلف من مرحلة إلى أخرى .. في مرحلة (التمرکز) يكون الأمن مسئولية قادة السرايا وقائد (عناصر الوحدة) وهو بالنسبة لكتيبة خالد الاسلامبولي .. كان خالد الاسلامبولي نفسه !!

المرحلة الثانية .. مرحلة (الخروج) من أرض التمرکز إلى أرض العرض ، فهي مسئولية المخابرات الحربية .. إن مندوبى المخابرات الحربية يستخدمون مايسمى (التفتيش العشوائى) .. أو التفتيش بالعينة ، بأن يختار الواحد منهم بعض الأسلحة التى فى يد الجنود ويتأكد من خلوها من الذخيرة وإبر ضرب النار .. وقد حدث هذا التفتيش فعلا مع جنود الاسلامبولي .. جاء أحد الضباط وتفحص العربات واختار بعض الجنود للتفتيش على أسلحتهم ، لم يكن منهم عبد الحميد وعطا وحسين عباس .. بل لم تكن عربتهم هى التى اقترب منها الضابط .. وبعد أن انتهى التفتيش ركب الضابط دراجته البخارية التى جاء بها ، وانطلق فى عكس اتجاه سير العرض ليستكمل تفتيشه على باقى العربات .

أما المرحلة الثالثة .. فهي مرحلة الخطر الأكبر .. مرحلة دخول العربات منطقة تفتيش أمن رئاسة الجمهورية .. الجهاز التابع للرئيس مباشرة .. وفى هذه المرحلة يكون التفتيش أدق .. وغير عشوائى .. وبأجهزة الكترونية حديثة .. لكن هذه المرحلة مرت دون أى إزعاج لخالد ورفاقه بالمرّة (!!) ودخلت عربتهم إلى الخط الأبيض (الخط الحرام لمنطقة العرض) .. ثم تحركت بسهولة نحو الهدف ..

إن كل شيء أصبح جاهزا الآن للتنفيذ .. الرشاش ممتلئ بذخيرة الموت وكذلك البنادق الثلاث .. والقنابل الأربع نصفها فى كابينه العربه والنصف الآخر فى صندوقها .. وخالد من جانبه أعاد ترتيب جلوس الجنود فى الصندوق بما يسمح بتنفيذ خطته .. ونبه عليهم بالنظر أمامهم فى صرامة .. وقال لهم : (كل واحد وشه قدام على طول) علشان لوحصل تصوير بيان إنكم قاعدين مضبوطين! (٤) ونفذ الجنود الأمر بدقة .

أمام (القول) الذى يقوده الاسلامبولي كانت هناك عربة (تمشرج) وتسير بسرعة أقل ، نتيجة خلل فنى فى محركاتها ، لم يستطع السائق أن يعالجه وهو فى كابينه القيادة .. ولم يثر ذلك اهتمام أو فزع أحد لأنه قد سبقها حادث مشابه ، حينما تعطلت دراجة بخارية فى مقدمة طابور العرض ، ووقع

(٤) قال ذلك فى التحقيقات أحد أفراد العربه وهو الجندى صبحى عبد المقصود محمود ، وقد جاء فى التحقيقات أيضا أن خالد كرز هذا التيه وقال : (كل واحد يقعد مضبوط لغاية الساعين دول مايعدوا على خير) وطلب من الجنود أن يقرأوا الفاتحة على الشهداء .

قائدها عليها ، وحمله رجال الأمن بدراجه بعيدا .. لذلك لم يلفت وقوف عربة الاسلامبولى الانتباه .. ولا القلق .. وسهلت الأعطال السابقة المهمة بصورة غير متوقعة .. وأجهزت الطائرات — التي كانت تعوى وتتلوى في ذلك الوقت في السماء — على باقي الانتباه .

إن الطائرات كانت تسحب العيون وراءها إلى السماء .. وكانت تتحرك بعنف وانفضاض وعلى ارتفاع منخفض إلى حد أثار الرعب في نفوس البعض الذى تصور أنها يمكن أن تقنم المنصة الرئيسية وقد تدكها .. أو على الأقل يمكن أن ترتطم بها .. لكن .. الخطر في الحقيقة لم يكن من الطائرات .. كان الخطر أمامهم على الأرض .. يزحف يبطء وهدوء وثقة ودون أى إثارة للمخاوف ..

وصلت العربة إلى المنصة الفرعية (على يسار المنصة الرئيسية) .. وفي تلك اللحظات كان المذيع الداخلى للعرض يعلن قدوم المدفعية .. قال (والآن تحيى المدفعية) .. وأضاف (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) « صدق الله العظيم » .. ولأن صوت الطائرات جعل من المستحيل أن يسمع صوت المذيع فقد كان أسهل على خالد الاسلامبولى أنه يسمعه من راديو صغير على تابلوه العربة .. وما إن انتهت تلك العبارة حتى كانت السيارة في نقطة منتصف المنصة .. وعند هذه النقطة توقفت العربة .. وبدأ الهجوم الجرىء .



أمر خالد السائق بالتوقف .. نزل من العربة .. ألقى بأول قنبلة .. سقطت القنبلة على بعد قليل من سور المنصة .. أنتصب عبد الحميد فوق العربة .. ألقى القنبلة الثانية .. سقطت القنبلة على بعد خطوات من مكان سقوط القنبلة الأولى .. انتصب عطا طایل وحسين عباس بدورهما فوق العربة .. صوبا بندقيتهما إلى منتصف المنصة في اتجاه السادات .. عاد خالد إلى العربة .. خطف الرشاش .. انطلق كالسهم في اتجاه المنصة .. رصاصات عطا وحسين تشكل له ساترا من النيران يحميه .. عبد الحميد يقفز من العربة .. يلحق بخالد على يمينه .. خلفهما بثلاث خطوات كان عطا طایل من ناحية اليسار .. وأخيرا كان حسين عباس الذى تعطل نتيجة سقوطه تحت عجلات المدفع (الكورى) الذى تجره العربة .

تشكيل هجومى يسمى في قاموس العسكريين برأس الحربة .. وهو نوع من التشكيلات التى تستخدمها أحيانا فرق كرة القدم ، ويعرفها كل من يتابع مباريات الدورى العام والكأس .
ضغط خالد على الرشاش بتحكم مذهل .. وخرجت ثلاث رصاصات منه .. ثم فوجيء بمقعد من طراز (ايديال) المعدنى يطير في الهواء من المنصة ويصطدم بالرشاش الذى وقع على الأرض .. وعندما التقطه خالد من جديد وحاول استخدامه ، اكتشف أنه معطل .. ألقى خالد بالرشاش على الأرض وأخذ بندقية حسين عباس منه ، بعد أن لاحظ أن الاجهاد قد سيطر عليه ، بسبب مرض القلب الذى يعانى منه ، وأشار إليه بالانصراف وكان عبد الحميد قد التف من يسار المنصة وقبل أن

يتقدم أكثر أصابته طلقات أحد الحراس في بطنه .. ولم يتردد عبد الحميد في أن يصوب سلاحه في مواجهة مطلق الرصاص ، لكنه فوجيء بالرجل يرفع طفلا صغيرا في وجهه .. يحتمى به ربما لنفاد ذخيرته وربما لأنه أحس بالخطر .. ابتسم عبد الحميد ابتسامة ذات مغزى ثم قفز داخل المنصة ليتأكد من أن السادات قد مات .. وكان سونكي بندقيته وهو يقفز مشهرا ومستعدا لأن يطعن به صدره وبطن السادات إذا كان لا يزال حيا .. لكن السادات كان جثة هامدة !

في أقل من دقيقة انتهت العملية وقتل (الرئيس المؤمن) .. وقبل أن تكتمل ثواني تلك الدقيقة — التي مرت كالدهر — كان عطا وعبد الحميد ينسحبان بسرعة من أمام المنصة في اتجاه مسجد « رابعة العدوية » .. وبعد أمتار قليلة تعرضا لرصاصات من أسلحة رجال المخابرات العسكرية .. وأصابتهما تلك الرصاصات^(٥) وسقطا على الأرض .. وما إن سقطا على الأرض حتى انهال رجال المخابرات والشرطة العسكرية بالاعتداء عليهما حتى كادا أن يقتلا ، لولا أن تدخل من أنقذهما حتى يمكن التأكد من شخصياتهما .. في تلك اللحظة كان خالد بين المنصة الرئيسية والمنصة الفرعية ويتجه — دون أن يدري — من منطقة تتواجد فيها قوات الحرس الجمهوري بكامل تسليحها .. وعلى بعد لا يتجاوز ١٥٠ متراً من المنصة سقط خالد برصاصات جديدة أصابته في أمعائه وقدمه بخلاف الرصاصات التي كانت قد أصابته عند المنصة .. وعومل بنفس المعاملة التي عومل بها عبد الحميد وعطا ، إن لمن تكن أشد باعتباره آخر المقاومين .

□ □

من سخرية القدر أن خالد وعبد الحميد وعطا نقلوا إلى نفس المستشفى الذي نقل إليه السادات .. مستشفى (القوات المسلحة) على نيل ضاحية (المعادى) .. لقد نقل السادات في طائرة عمودية هيلكوبتر من طراز (جازيل) بينما نقل الآخرون في إحدى السيارات العسكرية .. وفي مستشفى المعادى أعلنت حالة الطوارئ وانقسم أمهر الأطباء والجراحين الذين يعملون بها إلى فريقين .. فريق يعالج السادات وفريق يعالج الذين قتلوه .. لكن مهارة الفريق الذي حاول إنقاذ السادات لم تكن — وحدها — تكفى .. إذ أنه كان قد فارق الحياة بالفعل قبل أن يرفعوه من تحت مقاعد المنصة التي غطوه بها وكوموها عليه .

□ □

لسنا في حاجة أن نعيد تصوير مشاهد الفرع والفوضى والاضطراب التي كان عليها كل من كان في المنصة بعد الحادث .. فهذه المشاهد أصبحت محفوظة .. وربما محفورة في أذهان الناس بعد ما شاهدوه من أفلام وصور ، وعندما قرأوه في كتب تصور ماجرى .. على أن من المفيد أن نذكر — الآن — أن جزءا مما حدث كان سببه تصور البعض أن عملية قتل السادات كانت جزءا من عملية

(٥) لم يكن مسموحا لرجال المخابرات العسكرية بالاقتراب من المنصة الرئيسية وهذا ما أصر تدخلهم حتى هرب خالد وعبد الحميد بعيدا عن المنصة واقتربا من المنطقة المسموح لرجال المخابرات العسكرية التواجد فيها .

أكبر ، للاستيلاء على السلطة .. وكان نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية (المسئول الأول عن الأمن الداخلي) النبوى اسماعيل ممن آمنوا بهذا التصور فشوهه وهو يهرب وترك المنصة إلى مخبأ أمين اختاره بنفسه تاركا زوجته في المنصة وسط المولودين ، ولم يسترد الرجل شجاعته ، ولم يعد للظهور على وجه الأرض إلا بعد أن تأكد من خطأ إعتقاده .. وعندما راح يمارس عمله مره أخرى ، لم يستطع أن يتخلص من أوهامه ومن عاداته القديمة وراح يسطر التقارير الأمنية التي أظهر فيها أنه كان على علم بالمؤامرة قبل وقوعها ، وأن أحدا لم يسمع بنصيحته .. ومن باب الرهان على المستقبل .. أنهى تقريره بما يؤكد أنه الوحيد من بين رجال الأمن المؤهل لحماية الرئيس الجديد !!

□ □

ليس من الصعب أن نتخيل الصورة التي أصبحت عليها المنصة بعد الحادث .. وليس من الصعب أن نقارن بين صورتها قبل العرض مباشرة وبعد الاغتيال مباشرة .. إن هذه المقارنة لا تحتاج أن نتوقف عندها لأنها أصبحت جزءا من واقعة لن ينساها الجيل الذى عاصرها .. وإن كان من المفيد الآن أن نتابع معاينة النيابة العسكرية التي تمت صباح يوم ٨ أكتوبر ، بعد يومين تقريبا من الحادث .. إن تقرير المعاينة الذى كتب بمعرفة رئيس النيابة العسكرية العميد محمد عبد المنعم أحمد حسن يرصد بعض الملاحظات الهامة التي تكمل لنا صورة ما حدث :

١ - تبين عند إجراء المعاينة أن المنصة الرئيسية أخلت من المقاعد والأثاث وإن كان ما يزال بها بعض المصاطب الخشبية .

٢ - شوهدت آثار طلقات نارية بالحائط الأمامى للمقصورة الرئيسية .. كما شوهد كسر بالافريز الرخامى للحائط الأمامى للمقصورة .. وشوهدت آثار طلقات نارية بالخلفية الرخامية السوداء لصورة صقر قريش بخلفية المقصورة ، وبالباب الزجاجى الذى يؤدى إلى الصالون الملحق بالمقصورة .. وكان زجاج إحدى ضلوف الباب مهشما تماما ، كما كان زجاج ضلفة أخرى مهشما وما زالت بقايا قطع الزجاج متناثرة .. وشوهدت آثار طلقات في مواضع مختلفة من سقف المنصة الذى كان فيه بعض الكسور الصغيرة ومن أرضية المنصة وفي الأجزاء العلوية من الحائطين الجانبين .

٣ - وجدنا بالرصيف الممتد أمام المنصة آثار حفرتين ملتتا حديثا بالملاط ، الأولى تقع على مسافة ١٨٠ سنتيمترا من سور المنصة وإلى يسار الخط الأبيض بحوالى مترين أبعادها ١٠ × ١٠ سنتيمترات ، والثانية تقع على بعد ٦٤٠ متر من سور المنصة وإلى يسار الخط الأبيض بحوالى ٥٠ متر بنفس الأبعاد .. وقد أخطرنا الرائد حسين حسن عمر المصاحب لنا في هذه المعاينة أنه عقب الحادث شوهدت حفرة ثالثة في الجزيرة الخضراء تخلفت عن إحدى القنابل الثلاث التي انفجرت في الحادث وقدمت ترميم المكان .

وفيما بعد أخذ على النيابة العسكرية أنها تأخرت ٤٥ ساعة بالضبط على المعاينة^(٦) .. وخلال تلك

(٦) على أساس أن القبض على خالد ورفاقه كان في حوالى الساعة الواحدة من بعد ظهر ٦ / ١٠ / ١٩٨١ وأن النيابة العسكرية بدأت المعاينة في الساعة العاشرة من صباح ٨ / ١٠ / ١٩٨١ .

المدة التي تعد كبيرة في عرف جهات التحقيق خاصة في خادث خطير يمكن أن تكون له أبعاد سياسية وأمنية مثل حادث اغتيال السادات اكتشفت النيابة العسكرية ترميم بعض آثار الحادث ، واكتشفت جمع فوارغ الرصاص ، والأسلحة ومعظم ماتخلف عن الحادث .

إن ماتخلف عن الحادث والذي وصل إلى النيابة العسكرية في صورة أحرار أشياء متنوعة .. ومتعددة .. وتثير الدهشة والاستغراب أيضا . .

وحتى نرصد هذه الأحرار بدقة وأمانة فإننا لا بد أن نعود إلى تقرير الطب الشرعى الذى قدم — فيما بعد — للقضية التى كان المتهمون فيها خالد الاسلامبولى وآخرين^(٧) وقد تضمن التقرير مايلى :

الأسلحة النارية :^(٨)

حسب التقرير كانت الأسلحة المضبوطة والمحرزة عبارة عن ثلاث بنادق آلية متماثلة عيار ٧٦٢ م ومدفع رشاش بور سعيد وخزنة خالية وخزنة بها طلقات .. ضبطت البنادق الثلاث بجوار المتهمين .. وبكل منها سونكى وقايش .. وهذا الطراز من البنادق طراز رونسى « بماسورة مششخنة طولها حوالى ٤٠ سم مميزة بأربعة ميازيب يمينية » أما طول السونكى فحوالى ٢٠ سم .. والخزانة من النوع المقوس ، وتسع ٣٦ رصاصة .. والبنادق الثلاث المضبوطة حفر على أجهزة إطلاقها الأرقام التالية : رقم ٧٩٧٧ — ك ورقم ٤١٢٣ — م ورقم ٣١٠ — ٨١٥ — م .. وحسب التقرير كانت البنادق الثلاث سليمة (وقد نجحت تجربة إطلاقها للحصول على الأظرف المطلوقة منها للمقارنة مع ماعثر عليه بمكان الحادث) .

وكان الحرز الخامس عبارة عن رشاش قصير ٩ مللى — طراز (بور سعيد) رقم ٧٧٥٠٩ وهو صناعة مصرية ، وماسورته مششخنة طولها ٢٢ سم (مميزة بوجود ستة ميازيب يمينية الاتجاه) .. « والرشاش كامل الأوصاف وجهاز إطلاقه سليم ، وصالح للاستعمال وقد نجحت تجربة إطلاقه للحصول على الأظرف المطلوقة احتياطيا » ومع هذا الرشاش ضبطت خزانه خالية من الطلقات ، وأخرى بها ١٦ طلقة عيار ٩ م مما يستخدم فيه .. وخزانة هذا النوع — أصلا — تسع ٣٦ طلقة .. (والطلقات الموجودة متماثلة وحية كاملة وسليمة وكبسولاتها خالية مما يمنع من صلاحيتها للاستعمال ، ومحفور على قاعدة كل منها (ج . ع . م . ٠ — ٧٨ — ٣٧) وطول الطلقة الحية ٣٩ مم وطول ظرفها النحاس ١٩ مم والمقدوف اسطوانى وقمته قمعية وبعد استخراجها وجد طولها ١٤ مم وقطره ٩ مم) .

(٧) يحمل التقرير رقم (٢ طب شرعى — سباد / ١٩٨١ ويقع في ١٣ صفحة ، ومحرر في تاريخ ١٩ / ١٢ / ١٩٨١ ، وموقع من د . رمزى أحمد محمد مدير مصلحة الطب الشرعى (وزارة العدل) و د . فرج أحمد نائب كبير الأطباء الشرعيين ، و د . صبحى اسكندر نائب كبير الأطباء الشرعيين و د . عبد الغنى سليم البشرى كبير الأطباء الشرعيين ومستشار وزير العدل .. وقد أعد التقرير بناء على مذكرة من نائب المدعى العام العسكرى الإجراء المعاهنة من وجهة نظر الطب الشرعى وللمعص الأسلحة ومخلفات إطلاق النار .

(٨) ص — ٤ من التقرير .

طلقات البنادق: (٩)

طلب الأطباء الشرعيون من نائب المدعى العام العسكري عينات من (طلقات حية) للبنادق الآلية المضبوطة ، فوردت لهم العينات بالفعل ، وتبين من فحصها أنها من طرازين أحدهما روسي والثاني مصرى يحمل الحروف الأولى من اسم (الجمهورية العربية المتحدة) وهو الاسم الذى استبدله السادات باسم (جمهورية مصر العربية) .

الطلقة الحية الروسى تتكون من مظلوف نحاسى ارتفاعه ٣٩م وحول الكبسولة دائرة حمراء ، وهى معبأة ببارود عديم الدخان ومقذوف (رصاصه) مدببة القمة ومسلوقة القاعدة (أى زورقية الانسياب) طولها حوالى ٢٦ر٥ م . أما الطلقة الحية المصرى فتتكون من مظلوف نحاسى ارتفاعه ٣٩م خالية من العلامة الحمراء ، معبأة بكمية واضحة من البارود عديم الدخان ومقذوف (رصاصه) قمعية قمتها مدببة وارتفاعها حوالى ٢٣ر٥ م .

ولأحد يستطيع أن يعرف أى رصاص قتل السادات بالضبط .؟ الطراز الروسى أم الطراز المصرى ؟ وليس لجنسية الرصاص أى دلالة سياسية بالطبع !

القنابل الدفاعية (١٠)

حسب تقرير الطب الشرعى انفجرت ثلاث قنابل من التى ألقيت على المنصة وبقيت الرابعة حية كما هى ، دون أن تنفجر .. وهذه القنابل دفاعية وليست هجومية .. صناعة مصرية .. غلافها الخارجى عليه طلاء أصفر وحول منتصفه شريط معدنى يماثل ويطلق فى جميع أوصافه الأشرطة الثلاثة التى عثر عليها بمكان الحادث .

وتتكون القنبلة اليدوية من هذا الطراز من سوسته وياى وإبرة ومفجر ومادة متفجرة عبارة عن صف من قطع معدنية على شكل أنصاف مكعبات هى التى تتطاير عند حدوث الانفجار .

مخلفات الرصاص والقنابل: (١١)

وحسب نفس التقرير عثر فى مكان الحادث على عدد من فوارغ الطلقات يزيد على الستين ، وعثر على بعض الطلقات الحية .. هذا بالنسبة لطلقات البنادق الآلية ، أما بالنسبة لفوارغ رصاصات الرشاش فكان العدد قليلا جدا .. وعثر على مقذوف وشظية ملوثة بالدم ، ضبطا فى مكان اغتيال السادات .

كما عثر على ٣ شرائط نحاس للغلاف الخارجى للقنبلة الدفاعية و ٩ شظايا مربعة الشكل من الأجزاء الداخلية لنفس القنبلة ، وتم ضبطها فى المكان الذى اغتيل فيه السادات .

(٩) ص - ٥ من التقرير .

(١٠) ص - ٦ من التقرير .

(١١) ص - ٦ و ص - ٨ من التقرير .

مضبوطات أخرى: (١٢)

وحتى نستكمل وصف المنصة بعد الحادث ، نؤكد أن هناك أشياء أخرى كانت بها وضبطت وحرزت بعد ذلك .. منها كتاب صادر من فرع الشؤون الدينية بإدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة عنوانه (من فيض الرحمن في تربية الانسان) عبارة عن أحاديث للشيخ متولى الشعراوى ، وكان الكتاب ملطخا بالدماء .. ومنها ١٠ صور (نيجاتيف) عندما طبعت كانت لصور فوتوغرافية أخذت لمكان الحادث ، أثناء الحادث .. ومنها منديل أبيض به خطوط خضراء وآثار دماء .. ومنها مجلة مصورة عنوانها الرئيسى (٦ أكتوبر القوة والسلام) بها ثقب قطره ٧ × ٤ سم ، وبها كميات من الدماء المتجلطة ، وعليها كارت باسم الفريق محمد عبد الحليم أبو غزالة .. ومنها (ملاية) بيضاء ٢١ × ٢ م بها آثار دماء متناثرة وفي أحد أطرافها ثقب قطره ٣ سم .. ومنها ورقة بيضاء عليها عبارة (مع تحيات الشؤون المعنوية للقوات المسلحة) وهى ملطخة بالدم من وجهيها .. ومنها بطاقات دعوة ملطخة بالدماء للواء عبد الستار أمين ، وللدكتور صبحى عبد الحكيم ، وفكرى مكرم عبيد وغيرهم .

□ □

لم يستطع أحد أن يفسر وجود (الملاية) البيضاء فى المنصة !

وبدا وجودها مثيرا للدهشة .

وفى الصفحة السابعة من تقرير الطب الشرعى كان هناك لغز آخر .. فقد وجدت قطعة من معدن رمادى خفيف الوزن على هيئة أذن ، على جزء منها طلاء أسود وهى مخالفة لما يتخلف عن إطلاق الرصاص أو عما يتخلف عن القنابل المتفجرة فى الحادث .

ثم .. راحت الألفاظ تتوالى .. وراح الشك يتزايد .. وراحت التفسيرات تتوالى .. لكن .. الشئ المؤكد حتى الآن .. أن المنصة انقلبت من (كوشة) عرس إلى (ساحة) للموت !!